

برنامج [الكتاب الناطق] - الحلقة 11

الاحد 7/2/2016 م 27 ربيع الثاني 1437 هـ

❖ كان الكلام في الحلقة الماضية في جهتين:

1- الجهة الأولى: مررتُ مُروراً سريعاً على ما جاء في كلماتهم الشريفة بخصوص معنى (الاختلاف)، وأي نوعٍ من الاختلاف (مذموم) في حديثهم أو (ممدوح).. والسبب في ذلك هو ما رأيتموه وما سمعتموه من اختلاف مراجعنا وفقهائنا في حكم الشهادة الثالثة في الأذان والإقامة.

2- الجهة الثانية: أقيمتُ فيها نظرة على ما بقي من قرآنٍ ومن شواهد تاريخية تتحدث عن الشهادة الثالثة في الأذان والإقامة عند شيعة أهل البيت عليهم السلام عبر التاريخ.

3- الجهة الثالثة التي نويتُ الحديث عنها في هذه الحلقة، ورُبما الحلقة التي تليها هي: (أنَّ حاله الاختلاف والتردد التي رأيتموها في فتاوى مراجعنا العظام مردّها إلى البدايات.. ولذا سأعودُ بكم إلى البدايات كي تتشخص الصورة بشكلٍ أوضح)

❖ صورة الأذان والإقامة التي اختارها الشيخ الصدوق في كتابه (الفقيه: ج1) لا وجودَ لها الآن في الواقع الشيعي، لا على المستوى الفتوائي بين المراجع، ولا على المستوى العملي عند عموم الشيعة، وكذا ما قال به من حرمة ذكر الشهادة الثالثة لا يلتزم به الأكثر من فقهاء ومراجع الشيعة، وكذلك عامة الشيعة لا يلتزمون بفتواه. (ولهذا طرح الشيخ الصدوق جانباً)

❖ الشيخ المفيد تبني صورة الأذان والإقامة هي الصورة التي تبناها الشيخ الطوسي، وهي الصورة الموجودة بيننا الآن في الوسط الفتوائي المرجعي، وفي وسط عامة الشيعة.. لكنّه لم يُشر إلى الشهادة الثالثة لا من قريبٍ ولا من بعيد (وهذا الموقف ليس موجوداً الآن في الوسط الشيعي، لأنَّ الأعم الأغلب بين الفقهاء وبين المراجع هو القول باستحباب الشهادة الثالثة.. نعم يوجد من عارض وهم قلة).

❖ يبقى كلام الشيخ الطوسي هو المؤثر في الواقع الفتوائي والواقع العملي لعامة الشيعة، لأنَّ الشيخ الطوسي اختار صورةً للأذان والإقامة هي الصورة الآن المعمول بها.. أما موقفه من الشهادة الثالثة فقد كان مُتردداً.. وهذا التردد هو الذي ترك أثره في الساحة الشيعية.

❖ الاختلاف والتردد والتوقف في كلام فقهاءنا ومراجعنا مردّه ومنشؤه هو كلام الشيخ الطوسي.. فهو وصف الروايات بالشواذ، ولم يصفها بأنها موضوعة لأنَّ الموضوعة يعني مكذوبة، فلا يمكن التعامل معها.. أما الروايات (الشواذ) فالمقصود منها هي الروايات التي وردت في كتب الحديث، ولكن المشهور من العلماء أعرضوا عنها.

❖ هذا التردد الواضح في كلام الشيخ الطوسي هو الذي سبب التردد والتوقف والتحير على طول الخط بين علماء الشيعة؛ لأنَّ الشيخ الطوسي ابتكر طريقة في استنباط الأحكام الشرعية تختلف عن الذين سبقوه، وهذه الطريقة هي التي افتتح بها الفقهاء من بعده وإلى يومنا هذا. (لذلك كان لفتاوى الشيخ الطوسي وآرائه ومواقفه هذا التأثير لأنها لا زالت تعمل في الوسط الشيعي). وبسبب التردد الناشئ من تلك المنهجية.. بقي هذا التردد وبقيت هذه الحيرة وبقي هذا التوقف عند علمائنا، ولهذا سمي الشيخ الطوسي بشيخ الطائفة.. ومن هنا سبب تسمية الحوزة العلمية في النجف الأشرف بحوزة الشيخ الطوسي.

أطرح سؤالين هنا :

● هل الطريقة الاستنباطية التي ابتكرها الشيخ الطوسي، أخذها عمق الكتاب والعترة..؟

● هل أن الالتزام بالطريقة الاستنباطية للشيخ الطوسي - حتى على فرض صحتها - هل هو واجب.. ومن تخلف عنها يكون قد خرج من الدين..؟ (سيأتي الجواب عن هذين السؤالين في أجواء هذه الحلقة والحلقات القادمة).

❖ سأضع بين أيديكم لقطات (أتوقع أن هذه اللقطات ستكشف لكم كثيراً من الحقيقة)

● اللَّقطة (1): وقفة عند (تفسير التبيان: ج4).. وما يقوله الشيخ الطوسي في ذيل الآية (68) من سورة الأنعام، وردّه على ما يقوله الجبائي بشأن السهو النسيان عند الأنبياء.. وذهاب الشيخ الطوسي إلى أن الأنبياء والمعصومين صلوات الله عليهم يطرأ عليهم السهو والنسيان، وأنهم ينسون كثيراً من مُتصرفاتهم..!! (..إنما لا يجوزُ عليهم السهو والنسيان فيما يؤدونه عن الله ، فأما غير ذلك فإنه

يجوزُ أن ينسوه أو يسهوه عنه ممَّا لم يؤدِّ ذلك إلى الاخلال بكمال العقل، وكيف لا يجوزُ عليهم ذلك وهم ينامون ويمرضون ويُغشى عليهم، والتَّوم سهوٌ، وينسون كثيراً من متصرفاتهم أيضاً وما جرى لهم فيما مضى من الزَّمان..)

❖ إذا كانَ إمامُ زماننا هكذا حاله أنه ينسى الكثير من متصرفاته وما جرى له .. فكيف سيخرج مُطالباً بذحول الأنبياء وأبناء الأنبياء؟ إذا كانت ذاكرته ضعيفة فكيف سيطلب بهذه الدَّحول..!؟

❖ تفسير التَّبيان من أوله إلى آخره مُشبع بالحديث المُخالف لأهل البيت عليهم السَّلام.

❖ أنا لا أقول أن الشيخ الطوسي كان مُتعمداً ولكن أقول: غفلة علمية، وسهوٌ عقائدي وقع فيه الشيخ الطوسي فمن قال أن طريقته الاستنباطية طريقة صحيحة..!؟ هل هذا الكلام يرضى به إمامُ زماننا..!؟

❖ كما وصف الشيخ المُفيد الشيخ الصدوق وشيخه ابن الوليد بالتَّقصير، ردّاً على عقيدتهم بشأن سهو النَّبي، فهذا الكلام أيضاً ينطبق على الشيخ الطوسي.. فالشيخ الطوسي أيضاً مُقصر. (وإني بكلام الشيخ المفيد حتى يعرف المتابع أن الشيخ المُفيد هذا رأيه فيمن يقول بسهو المعصوم.. فلماذا الاعتراض على كلامي أو كلام غيري إن قلنا بذلك..!؟)

❖ إذا كانَ الشيخ الطوسي يتحدَّث بالمنطق الشَّيطاني هنا (في قضية سهو المعصوم ونسيانه) .. فلماذا نستبعد أن يتحدَّث بمنطق شيطاني في موضعٍ آخر من كلامه..!؟

● اللقطة (2): عند العلامة الحلي.. وما قاله في كتابه (خُلاصة الأقوال في معرفة علم الرِّجال) وهو يتحدَّث عن الشيخ الطوسي.. فيقول بعد أن ينتهي من مدحه : (وكان يقول أولاً بالوعيد ثمَّ رجع). (الوعيد هو عقيدة من عقائد المخالفين، تخالف منطق القرآن ومنطق أهل البيت، وهي صورة من المنطق الشَّيطاني بامتياز) (فكما أن الشيخ الطوسي نطق هنا بمنطق شيطاني في التَّبيان.. فهو نطق هنا بمنطق شيطاني في العقائد)

❖ في ترجمة الشيخ الطوسي لنفسه في كتابه (الفهرست) يقول وهو يُعدّد مُصنَّفاته: (وله المسائل الرّازية في الوعيد). ولا أدري هل هذا الكتاب في إبطال عقيدة الوعيد .. أم في إثباتها..!؟

❖ وقفة عند عقيدة الوعيد وبيان ما هي ومن الذي أسسها؟ وكيف أنها تُخالف منطق الكتاب والعترة

❖ أنا أُبين هذه الحقائق حتى نعرف أن الطريقة الاستنباطية التي اقترحها واختارها الشيخ الطوسي، هي أيضاً قد تقع في دائرة المنطق الشَّيطاني.. فلماذا يلتزم بها علماءنا ومراجعنا..!؟ ولماذا حين أخرج عنها أنا أو غيري نكون قد خرجنا من الدِّين.. وأصبحنا نعمل لخدمة المشروع الصَّهيووني..!!؟

❖ الشيخ الطوسي اعتقد بسهو النَّبي في آخر أيامه، وهذا يُدركني بحال السَّيد الخوئي، لأنّه أيضاً اعتقد بسهو النَّبي في آخر أيامه. ● اللقطة (3): كلام الشيخ الطوسي في كتابه الفهرست (لأن كثيراً من مصنفي أصحابنا وأصحاب الأصول ينتحلون المذاهب الفاسدة) رمي أصحاب الأئمة بانتحال المذاهب الفاسدة هو قول أعداء أهل البيت من أتباع الشافعي وأبي حنيفة.. فهذا الكلام موجود في كُتب المُخالفين، والشيخ الطوسي فكره متشبع بالفكر المُخالف لأهل البيت، ولهذا نقل هذا الكلام.

● اللقطة (4): نماذج من تناقضات شيخنا الطوسي:

- 1- العلامة الحلي يقول أن الشيخ الطوسي كان على عقيدة (الوعيد) ثمَّ رجع.
- 2- الشيخ الطوسي وصف الأئمة في (التَّبيان) بأنهم ينسون كثيراً.. بينما في كتابه المبسوط - والذي ألفه قبل التَّبيان- يقول في المقدمة: (وجعلهم معصومين من الخطأ مأمونين عليهم السهو والغلط؛ ليأمن بذلك من يفرع إليهم من التَّغيير والتَّبديل والغلط والتَّحريف). وقد يكون كلامه هذا في دائرة التَّبليغ، ويتماشى مع عقيدته في التَّبيان، ولكنني أحمله هنا محملاً حسناً بأنه كان يعتقد بعدم سهو المعصوم؛ ثمَّ رجع في كتاب التَّبيان - وهو كتاب متأخر عن كتابه المبسوط- وناقض نفسه بنفسه.
- 3- الشيخ الطوسي في كتابه النِّهاية في حديثه عن الشَّهادة الثالثة يقول: (ومن عمِل بها كان مُخطئاً)، بينما يقول في كتابه المبسوط: (ولو فعله الإنسان لم يؤثم به). (هذا التناقض والاضطراب موجود على طول الخط في كل كتب الشيخ الطوسي، وعلى طول حياته).

❖ الشيخ الطوسي استعمل مصطلح (شواذ الأخبار) وهو مصطلح شائع عند الشافعية.. والخبر الشاذ عند الشافعي هو الخبر الذي ترويه الثقات، ولكن يُعرض المشهور عن العمل به.. وهذا يُشير إلى أن الشيخ الطوسي يعتقد أن الأخبار التي وردت في الشَّهادة الثالثة وقال عنها الصدوق موضوعة هي أخبار صدرت عن الثقات.

❖ (الإجماع) عنوان جعله الشيخ الطوسي دليلاً من الأدلة الشرعية، ولم يرد عن أهل البيت شيء في ذلك. المخالفون قالوا به، وشيخنا الطوسي استنسخ لنا ذلك.

❖ الشيخ الطوسي ينقل في بعض كتبه إجماعات على شيء، وينقل في كتاب آخر إجماعات معاكسة لذلك الشيء الذي أثبتته بإجماعات أخرى..! إلى الحد الذي جعل الشيخ يوسف البحراني يُعلّق على هذه المسألة في كتابه (الحدائق الناضرة: ج1) فيقول: (ولقد كان عندي رسالة الظاهر أنها لشيخنا الشهيد الثاني (قدس سرّه) كتبها في الاجماع التي ناقض الشيخ فيها نفسه).

● اللقطة (5): نماذج من كتب المخالفين لأهل البيت، تُشير إلى علاقة فيما بين الشيخ الطوسي والشافعية، وأنه تأثر بالفكر الشافعي: 1- أول وقفة عند كتاب (سير أعلام النبلاء: ج18) للذهبي .. يقول في كتابه في ترجمة الشيخ الطوسي: (الطوسي شيخ الشيعة قدم بغداد، وتفقه أولاً للشافعي، ثم أخذ الكلام وأصول القوم عن الشيخ المفيد رأس الإمامية..). 2- وقفة أخرى عند ما قاله الذهبي في كتابه: (تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام) في ترجمته للشيخ الطوسي، يقول: (..قدم بغداد وتعيّن وتفقه للشافعي، ولزم الشيخ المفيد فتحول رافضياً) وهذا يُشير إلى أنّ الفكر الشافعي كان في البداية مؤثراً عليه، وبعد ذلك صار رافضياً.

3- كتاب (طبقات الشافعية الكبرى: ج4) لتاج الدين السبكي، يقول في ترجمة الشيخ الطوسي: (فقيه الشيعة ومُصنّفهم، كان ينتمي إلى مذهب الشافعي...قدم بغداد، وتفقه على مذهب الشافعي..).

❖ وقفة عند ما قاله الشيخ الطوسي في (الفهرست).. في ترجمته لأبو منصور الصّرام، يقول: (قرأت على أبي حازم النيسابوري أكثر كتاب بيان الدين..) وكتب الرجال تقول أنّ أبي حازم النيسابوري هو أشعريّ العقيدة، شافعيّ في الفقه، يعني مُخالف لأهل البيت من الطراز الأوّل.

❖ وقفة عند مقدّمة كتاب (العدّة في أصول الفقه) للشيخ الطوسي .. وما يقوله الشيخ الطوسي وهو يتحدّث عن أحد مشايخه، وهو من الأحناف..!

❖ وقفة عند (مجلة تراثنا) التي تصدر عن مؤسسة (آل البيت عليهم السلام) لإحياء التراث .. والذي يُديرها: السيد جواد الشهرستاني داينامو مرجعية السيد السيستاني.. والمقال الذي أُدرج فيها وتناول الحديث عن الشيخ الطوسي، وعلاقته بالشافعية.. وهذا يُؤكّد أنّ هذه القضية معروفة، والجميع يذكرونها، بما فيهم هذه المؤسسة التي يُديرها صهر ووكيل السيد السيستاني.

❖ المؤسسة الدنيّة أكثر مؤسسة لا تقبل بحريّة الرأْي.. فهي مؤسسة بُنيت على الضنمية، وهذا هو حال الشيعة.

❖ إنني لا أستدل بهذه الأشياء على تأثر الشيخ الطوسي بالفكر المخالف عموماً، والفكر الشافعي خصوصاً.. فهذه الأمور مجرد لقطات. أنا مقتنع بذلك نتيجة لتجربة علميّة طويلة ومعاناة وتحقيق طويل تجاوزت الثلاثين سنة.. لا أستطيع أن ألخصها في ساعات، إنّما أتيتُ بهذه اللقطات لتقريب الصورة

❖ بقية اللقطات في حلقة يوم غد.